كيف استطاع نوح وأسرته الاعتناء بالحيوانات على الفلك ؟

بقلم "جون د. موريس"

سخر المتهكمون من قصة الطوفان من فكرة قيام عدد قليل من الناس بكل الوظائف التى تتطلبها رعاية الحيوانات لمدة سنة . وهى بدون شك كانت مهمة شاقة جدًا نظرًا لعدد الحيوانات وصعوبة الظروف وقتها لكن هل كانت مستحيلة ؟

أشارت الدراسات الأولية أن عدد الحيوانات الاجمالى لم يبلغ الملايين التى يتخيلها أولئك المتهكمين . قال الله لـ"نوح" أن يأخذ على الفلك اثنين من كل "جنس" ممثلة اليوم فى "عائلات" أو "أجناس" عديدة . فمثلاً "جنس" الكلاب يتضمن عدة أنواع : ذئب ، كلب منزلى ، دنغ (كلب أسترالى) ، قيوط... إلخ . معظم الحيوانات كانت صغيرة الحجم ماعدا عدة عشرات كانت ذات حجم كبير فكان الحجم المتوسط مثل حجم القطة العادية (يقدم كتاب جون وودمورابى *Noah's Ark: A Feasibility Study* دراسة عميقة فى هذه النقطة) . أغلبية حيوانات اليوم تعيش فى البحار ولم تحتج أن تدخل الفلك .

لكن ماذا عن الحيوانات التى كانت بالداخل ؟ فهى كانت محبوسة لشهور تتأرجح وتتمايل مع الفلك ومحاطة بالضوضاء من كل جانب سواء أصوات العواصف الهوجاء أو أصوات الحيوانات الأخرى (تكوين 7 : 21 - 22) . لكن ترى كيف تعايشت ؟ كيف كانت حال آكلى اللحوم ؟

من المعروف أن كل الحيوانات يمكنها العيش على نظام غذائى نباتى . صحيح أن العناية بها تتطلب اشباع احتياجاتها الغذائية لكنها مهمة ممكن تحقيقها . بعض آكلى اللحوم قد تختار غذاءً نباتيًا . بعض الدراسات التى أجريت على حيوانات أخرى أظهرت أن بعض الحيوانات مثل الدببة تبيت البيات الشتوى لتبقى على قيد الحياة أثناء الضغوط التى لامبرر لها . معظم الحيوانات الأخرى (أو ربما كلها تقريبًا) تدخل حالة السكون النسبى أو البيات الصيفى إذا واجهت خطرًا لا تستطيع التغلب عليه أو الهرب منه . تحتاج فى هذه الحالة أقل كمية ممكنة من الطعام والحركة وبالتالى تقل فضلاتها وفى هذه الحالة تقل أيضًا ميولها العدوانية . كما أن وجود خطر مشترك يعمل على ازالة غريزة الافتراس لديها .

تشير كلمة الله إلى هذا الوضع إذ قال الله لـ"نوح" أن يبنى فلكًا مزودًا بـ"مساكن" للحيوانات (تكوين 6 : 14) . لكن الكلمة العبرية المستخدمة هنا تعنى فى أى مكان "أعشاش" كما فى (تثنية 32 : 11) حيث تتناسب مع الطيور ، وتنطبق أيضًا على أى مكان يجد الإنسان فيه الراحة والأمان (أيوب 29 : 18) . هل هذه إشارة إلى أن الحيوانات ما كان عليها إلا الرقاد والانتظار حتى يزول الخطر ؟

ما من سبيل لمعرفة ذلك بالطبع لأنه كان حدثاً فريدًا من نوعه لم يشهده أحد فى الوقت الحالى والشخص الوحيد العالم بكل شىء لم يذودنا بكل التفاصيل . ألا يليق هذا بإله "نوح" الحنان كى يسهل المهمة عليه ؟

المقدرة على البيات الشتوى ظاهرة غامضة ليس لها تفسير علمى . ألا يحق لنا أن نفترض أن الخالق المحب زود الحيوانات التى كانت على الفلك بهذه المقدرة ليحافظ على حياتها ؟ ربما لم تكن هناك حاجة لهذه المقدرة قبل الطوفان . كل حيوانات اليوم تنحدر من تلك التى كانت على الفلك وورثتها منها . بما إن العلم ليس له أى تفسير لسببها فإن هذا الافتراض الذى يتفق مع كل الحقائق يستحق أن ننظر إليه بعين الاعتبار .